مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 21 العدد: 46 السّنة: الثّلاثيّ الرّابع 2019 ص: 371 - 388

أساليب تعنيف المهمّش في االرّواية الجزائريّة

(the marginilezed in algerien roman and violence physical and psycalogycal 1)

الباحثة: ليلة أجعود[1]

المشرف: أ.د. آمنة بلعلى

مخبر تحليل الخطاب

تاريخ الاستلام: 26- 10- 2018 تاريخ القبــول: 06- 02- 2019

ملخّص: يعدّ العنف من المواضيع الرّئيسيّة الّتي ارتبطت بفئة المهمّشين بأنواعها: المرأة، والمجنون والمسجون والمتشرد...الخ خاصّة في فضاء المدينة باعتباره فضاء مرتبطا بالقيم الماديّة أكثر منها الأخلاقيّة، فالمدينة تشبه المرأة المنحرفة، الّتي تسعى وراء مصالحها الماديّة، ويبقى المهمش أكثر عنصر في المجتمع عرضة للاستغلال من قبل السّلطة، الّتي تحرضه عليه لصالحها، كما أنّ المدينة ترتبط بالصّراعات السّياسيّة والإيديولوجيّة الّتي يكون فيها المهمشون معرضا أكثر لكل أنواع المخاطر، وخاصّة المثقفين منهم كالصّحفيين، وكذا ضحايا الخطابات السّياسيّة الرّسميّة كمعطوبي ثورة التّحرير، بالإضافة إلى العنصر الأمازيغي الذّي بقي في الهامش يتنظر إعادة تصحيح التّاريخ من أجل إنصافه.

كلمات مفتاحيّة: المهمّش ؛ االرّواية ؛ المرأة ؛المسجون؛ المجنون.

[1] جامعة مولود معمري ولاية تيزي- وزّو، الجزائر، Lilaadjaoud2@gmail.com

Abstract: : The narrative (account) is seeking to reveal the relation of the marginalized in city and violence physical and psycological, since the nation building movement in the Arab world has revealed a political process; considering that, the Algerian narrative (account) today became the marginalized acount with distinction. It reveals to the reader how the body of the marginalized is tortured. Therefore it will be the subject of our article. : the marginalized: woman, lunatic, prisoner and the intellectual in city and violence.

Keyword; the marginalized; woman; prisoner; city.

المقدّمة:. تمثل المدينة في االرّواية العربيّة المعاصرة صورة المرأة المنحرفة الّتي تنحدر إلى تقويض القيم بشتى أنواعها، كونها تتّسم بطابع العنف والانحراف والإجرام وانتهاك الحقوق والصّراع على السّلطة والمادة، وباعتبار أنّ الأدب يمكن أن يكون صورة عن الواقع الاجتماعي والسّياسي، اخترنا موضوعا يتمثل في فضاء المدينة والعنف الجسدي واللفظي في االرّواية الجزائريّة، بعدما عرفت المدينة ارتدادا على مستوى جميع القيم الإنسانيّة: النّفسيّة والفكريّة والشّعوريّة، والماديّة إذ إنّها تعكس معاناة الفرد الذّي يعيش في ظلّ الصّراع والعنف بأساليبه المختلفة فيتعرض إلى تعنيف متعدّد الأشكال المعنويّة والماديّة.

1- العنف والمهمّش في المدينة الجزائريّة: تعدّ مقولة العنف من أكثر المقولات الدّالة في معجم "الغيريّة" اقترانا باالرّواية المعاصرة، وتداولا في خطابات النّقد الثّقافي، لاسيما بعد تفاقم الظواهر الاجتماعيّة المؤسسة لهما، من حروب أهليّة، ونزاعات طائفيّة (دينيّة ومذهبيّة)، والحق أنّ التّجسيد الجمالي للعنف الحسي، والخطابي، يمثّل أحد أهمّ ملامح االرّواية العربيّة المعاصرة مع تباين في مستويات هذا التّمثيل، حيث جسدت رواية الحرب الأهليّة اللبنانيّة، ثم بعدها رواية الحرب العراقيّة (الأولى والثّانيّة) الرّصيد الأكثر تمظهرا وتعدّدا في

النّصوص الرّوائيّة. ولقد اقترنت االرّواية الجزائريّة عبر تاريخها بتجليات تخييليّة وبلاغيّة هيمنت عليها مقولة العنف [1] (شرف الدّين ماجدولين، ص107،108) ارتبطت كلها بفضاء المدينة "لسبب واحد يتمثل في تحول الوجه الاجتماعي للمدينة إلى وجه سياسي، فالجوع مثلا الذّي عانى منه أبطال االرّواية الاجتماعيّة له دلالتّه السّياسيّة " [2] (مختار علي ابو غالي ص 150) والمتمثّلة في الهيمنة والاختلاف الطبقي، وهو ما يؤدي ، حتما، إلى التّعنيف والتّحقير والإقصاء.

ترى الدّكتورة آمنة بلّعلى في كتابها "خطاب الأنساق" أن موضوع الاختلاف والعنف والثّورات في الوطن العربي من القضايا الّتي تفرض على المثقف تحديات معرفيّة وجماليّة، تحدّد موقعه في ثقافة المجتمع الذّي يجدّد انتماءه، وعلاقته بالآخر ودوره في المشهد الثّقافي العالمي؛ غير أنّ هناك سؤالا يطرح نفسه يتعلق بكيفيّة تمثّل الأحداث للصراع الإيديولوجي، الذّي يتسبب في ظاهرة التّشتت والنّزاع، باعتبار أنّ هذا العالم منذ الحرب العالميّة الثّانيّة أصبح منضويا تحت سرديات كبرى كالقوميّة والماركسيّة والوجوديّة والدّينيّة واللبراليّة [3] (آمنة بلعلى ص185،188) وهو الأمر الذّي يؤدي إلى الإفراط في استخدام القوة، بأنواعها المختلفة الجسديّة والرّمزيّة وحتى اللغويّة حيث تسعى كلّ طائفة إلى فرض الهيمنة والسّيطرة بالقضاء على الطائفة الأخرى، ويرى الفيلسوف "هوبز" "huiez" في هذا المجال أنّ الإنسان ذئب لأخيه الإنسان وقد ولد ومعه غريزة الصّراع، "وإنّ إمكانات القوة عنده أوسع بكثير من إمكانات الحيوان(عضلات، مال، حسب منصب، ذكاء...) ولعل المساواة بين البشر في القدرات هو ما يهّدد باستمرار الصّراع، فكل عنف سيولد عنفا مضادا بالضرورة، و يؤكد هوبز نظرته قائلا: "إذا ما نظرت إلى القوة البدنيّة وجدت أنّ الأضعف جسميا في مقدوره أنّ يقتل الأقوى، إما باستخدام الحيلة أو بالتّحالف مع الآخرين" [4] (محسن المحمدي، الإنسان

ذئب لأخيه الإنسان) .ومن البديهي أن يتجسد هذا النّوع من الصّراع في مجتمع االرّواية مثلما يتجسّد في الواقع.

من أجل أن نبين مظاهر العنف في االرّواية الجزائريّة، سنمثّل برواية "توابل المدينة" للروائي الجزائري **حميد عبد القادر**، الّتي تركز على ظاهرة العنف بعد الاستقلال وقد اختار الرّوائي فضاء المدينة الذّي يتمثل في مدينة الجزائر العاصمة، فضاء لصراع المذاهب والإيديولوجيات، وهو توجّه في االرّواية الجزائريّة برز مع مرحلة الإرهاب أثناء العشريّة السّوداء، ودفع بالرّوائيين إلى مساءلة أسباب المحنة وتأثيراتها على الفرد والمجتمع ، وكذا في الثّقافة "فقد بدأت االرّواية الجزائريّة جراء هذه الظروف الجديدة تعرف ما يمكن تسميته "بمرحلة الشّك" إذ عبرت نصوصها وبطرق مختلفة عن هذا الوضع المتأزم الذّي بلغ ذروته مع بدايّة التّسعينيات، الّتي اتسمت باستعمال العنف الرّمزي والمادي أي الاغتيال السّياسي الفردي والجماعي، إنها مرحلة تداخل المفاهيم وزعزعة اليقينيات وغياب الأمن والاستقرار السّياسي والاجتماعي" [5] (محمد داود ص 106) وتعود علاقة العنف بالمدينة في االرّواية إلى سبب رئيسي كون المدينة أسهمت في تحويل الإنسان إلى كائن منحرف مجرد من الإنسانيّة، وأصبح عبدا لأنانيته ولماديات الحياة، على الرّغم من أنّ هناك من يرى أنّ المدينة تعبر عن بعدين مختلفين: الأول ثوري تحرري، بينما الثّاني يرى أنها مجرد حاملة لمعاني الظلم والطغيان المادي [6] (سعيد بوسقطة ص5،6)

ينقسم العنف في رواية "توابل المدينة" إلى أنواع: الإجرام السّياسي والاعتداءات الجسديّة، العنف النّفسي والرّمزي... في فضاء مدينة تعرف تعدّدا فكريا وسياسيا حول المصالح الماديّة ولذلك تكشف االرّواية عن المسكوت عنه كاستغلال جسد المرأة بفعل الاغتصاب والتّحرش، وهو العنف الجسدي الذّي يتداخل مع العنف اللفظي يشكّل سمة بارزة في االرّواية المعاصرة، وتختلف

تجلّياته من رواية إلى أخرى بين السّبّ والشّتم واللعن وغيرها من المحظورات اللغويّة الّتي توحي إلى الجنس، والتّنابز بالمصطلحات الواردة في االرّواية منها "الموتورني" الذّي يعني الحركي، وهي تسميّة تعني العميل وأصبحت تطلق على كل شخص يختلف عن العامة من النّاس من حيث استخدام اللغة الأجنبيّة واللباس الأجنبي فينعت **بالموتورني** اتهاما له بأنه شخص حقير تخلّى عن أصوله مثلما هو الحال مع شخصيّة سفيان رضا، وسعيد سكندر كونهما يشربان النّبيذ ويحتكمان إلى مظاهر الثّقافة الأجنبيّة، ويلبسان لباسا مختلفا عن الجزائريين كما نجد مصطلح "العاهرة" وهو مصطلح يعني الانحراف الجنسي، وقد خصص في االرّواية للمرأة البرجوازيّة نظرا لطابع التّمدن الذّي تتسم به كاللباس القصير والذّهاب إلى المسرح والغناء وشرب الخمر وغيرها من التّقاليد والممارسات الدّخيلة عن المجتمع الجزائري المحافظ.

ومن خلال هذه المسمّيات، لاحظنا أنّ العنف بأنواعه في المدينة الجزائريّة حسب رواية "توابل المدينة" يعود إلى سبب رئيس هو الاختلاف الطبقي والثّقافي والعقائدي كون المدينة الجزائريّة أصبحت تمثّل فسيفساء من الثّقافات، منها الثّقافة البدويّة والقرويّة المرتبطة بالطبقة الفقيرة، الّتي انحدرت من القريّة والثّقافة البورجوازيّة الّتي ارتبطت بالكولون من منظور السّارد، إلى جانب فئة اليهود الذّين قرروا البقاء في الجزائر بعد الاستقلال لأنهم مارسوا التّجارة والصّناعة في المدن الجزائريّة بالتّالي لا يمكن لهم التّخلي عن ممتلكاتهم، ومن خلال هذا جاء الخليط نفهم عنوان االرّواية " توابل المدينة" الّتي جمعت مختلف الشّرائح والطبقات الاجتماعيّة في مدينة الجزائر من عرب وفرنسيين ويهود وأمازيغ، غير أنها توابل تجمعها علاقة الصّراع والعنف زرعتها السّلطة والإيديولوجيات وقد جاء العنف في االرّواية متفاوتا بين القتل، والضرب واستغلال المرأة، السّب والشّتم، والمآمرة وامتد إلى استغلال المؤسسة الدّينيّة

كالمساجد الّتي تعدّ معالم ثقافيّة وعقائديّة يمثّل المساس بها نوعا من أنواع العنف ضد المسلمين .

2- تجليات العنف ضد المرأة البرجوازيّة: يعدّ العنف بأشكاله المختلفة الوسيلة المهيمنة في الصّراع بين المستعمِر والمستعمَر؛ لأنه الوسيلة الوحيدة الّتي يتمّ بها التّخلّص من المستعمِر، ويعد العنف ضد المرأة من السّلوكات الّتي زرعها الاستعمار في البلدان المستعمَرة، وبقي متجذّرا في نفس الرّجل المستعمَر، [7](عبد الله ابراهيم ص16) إذ إنّ المرأة الجزائريّة تعرضت إلى أبشع أنواع العنف أثناء الثّورة المسلّحة كالاغتصاب والضرب، وبذلك بقي فعل التّحرش بالمرأة والعنف الجسدي والجنسي سلوكا تعنيفيا بثه المستعمِر في نفوس بعض الفئات الجزائريّة، الّتي تسعى إلى الانتقام من الجنس الأوروبي عبر انتهاك جسد المرأة بالاغتصاب والضرب، فنجد شخصيّة **برهوم بوسلمان** في االرّواية يتلذّذ باغتصاب المرأة الأوروبيّة كفعل انتقامي من الأوروبيين وخاصّة وأن المدينة فضاء، يتواجد فيه كل الأجناس بما في ذلك رواسب الاستعمار كوجود الأقدام السّود والطبقة البرجوازيّة الّتي هي وريثة الكولون في المدن الجزائريّة، فيقول برهوم في االرّواية منتقما من الاستعمار باستخدام العنف ضد المرأة البرجوازيّة :" **كنت أعيش في المدينة، غريبا بلا أقارب ولا أصحاب، وإذا بي أجد نفسي أعيش وسط الأقدام السّود. وكلما ساورني إحساس بوخز الضمير، ناديت بريجيت وضاجعتها كالمجنون، كنت أفعل ذلك بعنف وخشونة، كأني أسحقها سحقا، وأعصرها بقوة من به رغبة الانتقام من شيء مجهول، فمهما تماديت في الاندماج، بقي في كياني رواسب الإنسان المقهور وإحساس بالحقد اتجاه هؤلاء الأقوام الغرباء**" [8] (االرّواية ص107) .

من خلال هذا المقطع السّردي يتجلى للقارئ أنّ العنف ضد المرأة، لا يمثل إشباعا غريزيا للرغبة الجنسيّة فقط، إنما يمثّل أيضا بعدا سياسيا وايديولوجيا

يتمثل في فعل الانتقام من الآخر غير المرغوب به فمدينة الجزائر العاصمة، تمثل فضاء للصراع والاختلاف الإيديولوجي والعرقي وخاصّة حين يتعلق الأمر بالمرأة الأجنبيّة الّتي ترمز إلى العدو والمستعمر، فيتم الانتقام منه بها، وفي هذا الصّدد يرى سارتر في تقديمه لكتاب "فرانس فانون" "معذبو الأرض" أنّ علامات العنف لا يستطيع اللين أنّ يمحوها، إنّ العنف هو الوحيد الذّي يستطيع أن يهدمها؛ ذلك أنّ المستعمَر يشفى من عصاب الاستعمار، بطرد المستعمِر، من أرضه بالسّلاح كما يعد أيضا الثّأر من المرأة بالضرب والاعتداء الجنسي فعلا ثأريا يسعى به الرّجل إلى إشباع رغبات غامضة لها دلالات متموجة، لكنه عنف يريد به الشّفاء من جرح. وكل ألفاظ العنف، وما يتصل به من دلالات تتكرّر كثيرا وتزداد خاصّة حين يتعلّق الأمر بالمرأة الأجنبيّة وبذلك يكون قد حقّق انتقامه [9] فالملاحظ من خلال هذا المقطع السّردي أنّ المرأة الّتي تتمتّع بسلوك برجوازي تتعرّض إلى أبشع أنواع العنف المتمثّل في انتهاك حرمة الجسد، كفعل انتقامي من الاستعمار الفرنسي ويعد هذا السّلوك من بقايا الذّاكرة الفرنسيّة الّتي عذبت جسد المرأة الجزائريّة بفعلي الضرب والاغتصاب، ولذلك نجد المرأة الأجنبيّة في رواية توابل المدينة، إضافة إلى فعل الاغتصاب الذّي تتعرض له نجدها تتعرض إلى عنف جسدي آخر يتمثل في الضرب ويتجسّد ذلك في قول برهوم بوسلمان في االرّواية :" **فجأة تناهى إلى سمعي، صراخ امرأة في الخارج كان منبعثا من الشّارع الخلفي. امرأة انهال عليها رجل بالضرب المبرّح، نعتها بالعاهرة، وبنعوت أخرى لا تقل بذاءة، ابتسمتُ لم أتحرك. أرفض أن أكلف لنفسي عناء التّحرك قيد أنملة لنجدة امرأة...تلذذت لذلك، وأنا استمع للمرأة وهي تنتقل من الصّراخ والبكاء، إلى التّوسل...**" [10] (االرّواية ص 107)

من خلال هذا المقطع السّردي نلاحظ أنّ العنف الجسدي ضد المرأة يكون غالبا مرفوقا بعنف آخر يتمثل في العنف اللفظي، حيث أنّ شخصيّة برهوم

بوسلمان كان يتلذذ من مشهد الاعتداء على امرأة أجنبيّة بالضرب، إضافة إلى سبّها وشتمها بنعوت تكون غالبا مؤذيّة لمشاعر المرأة مثل لفظة "عاهرة" مادام العنف فعلا مؤذيا جسديا كان أو نفسيا، ويعرف علماء الالسّنة العنف اللفظي أنه تفوه بالسّب أو الشّتم وهو عمليّة تنفيس مؤقتة، يتمكن بواسطتها الشّاتم من تمييز نفسه (الفاعل) في مرتبة أعلى من المشتوم (مفعول به). وبذلك يشعر بالرّاحة النّفسيّة، وكثيرا ما يشبه اللسانيون العنف اللفظي بتعويض للعنف الجسدي، أو كمرحلة وسطى ومتقدمة، للعنف الجسدي، 1 1(سارة السّهيل مقال ماخوذ من الأنترنت) فالآخر لا يزال إلى حد اليوم يحمل حمولة ثقافيّة تتجلى في المستعمِر الذّي ينبغي مواجهته، وبذلك أصبح جسد المرأة جسدا ثقافيا يمارس عليه فعل الاعتداء والضرب ليصبح رسالة إلى الآخر بأنه حقق فعل الانتقام والانتصار، وتختلف أشكال العنف ضد المرأة الأجنبيّة لتأخذ صيغة أخرى تتمثل في التّحرّش، ويتجلى ذلك في االرّواية في هذا المقطع السّردي:" برزت ظاهرة جديدة في الحي ظاهرة التّحرش بنساء البر جوازيين، فكلما مررن بجانب المقهى، إلا وأسرعن الخطو لتفادي وابل من المعاكسات **البذيئة، والسّوقيّة** كان ينزلها عليهن رواد المقهى الجديد، وإذا سلمن من تلك المعاكسات المنحطة والمقرفة الّتي تجعلهن يتقززن، ويصبن بالغثيان، فإنهن يستمعن لمواعظ دينيّة بأسلوب **عنيف وعدائي**، تدعوهن لترك لباسهن القصير، وارتداء ملابس أكثر سترة وحشمة" 2 1(االرّواية ص 172)

فالملاحظ أنّ العنف ضد المرأة في االرّواية قد تحوّل من فعل فردي إلى ظاهرة جماعيّة، في هذا الصّدد، بيّنت الكثير من الأبحاث، كيف أنّ الكلام البذيء، قد تحوّل على المستوى الفردي والاجتماعي إلى عنف جسدي، والغريب في ظاهرة العنف اللفظي أنها لا ترتبط بالوازع الدّيني، فبالرّغم من حضور الوازع الدّيني لدى الكثير من الشّباب من كل الدّيانات. لكن نجدهم لا يحافظون على القيم

الأخلاقيّة داخل أديانهم [13](سارة السّهيل، مقال مأخوذ من الأنترنت) ومن هنا فالخطابات الدّينيّة، أيضا، قد لعبت دورها في ممارسة العنف ضد المرأة ذلك بارتكابها فعل الإقصاء لكل آخر مختلف عن الثّقافة الإسلاميّة، ويتجلّى ذلك من خلال المواعظ الدّينيّة الّتي جاءت بأسلوب عدائي وعنيف، في مخاطبة المرأة البرجوازيّة المشبعة بالثّقافة الأوروبيّة، استنادا إلى لباسها القصير، الذّي يتناسب أكثر مع الموروث الغربي، فقد جاء الخطاب الدّيني عنيفا وقاسيا في حق المرأة البرجوازيّة الّتي تعيش في المدينة الجزائريّة، لأن الخطاب الدّيني في االرّواية بدا عنصريا كونه لم يركز على فعل التّحرش كفعل إجرامي ضد المرأة، فكان الاهتمام منصبا على تحريم اللباس القصير الذّي يبرّر فعل التّحرش وإيذاء المرأة ، وعليه فقد مارس على المرأة البرجوازيّة أشكالا من العنف كانت بإيعاز من القائمين على المؤسسات الدّينيّة الذّين يلحقون السّلوكات بالاستعمار الفرنسي، ويتجلى وذلك في قول السّيدة جنات البرجوازيّة: **"يوجد عندنا أشخاصّ يعيشون بالعداوة، يشوهون سمعة الشّرفاء...هؤلاء يشوهون مصائر النّاس عبر نشر الأكاذيب يقولون لابرجواز تعيش مثل الكولون، لابرجواز تشرب النّبيذ الأحمر لابرجواز تدخن، وغيرها من الافتراءات، الّتي يروجونها في مجالسّهم...فيظن هؤلاء أنني عدوتهم، والحقيقة أنّ مصدر الخطر قادم من هؤلاء الذّين يدعون النّقاء"** [14] (االرّواية ص 74،73).

من خلال هذا المقطع السّردي نلاحظ أنّ السّلطة تستخدم إيديولوجيا التّحريض في الخفاء لتقنع الطبقة الفقيرة بأن الطبقة البرجوازيّة هي الّتي استحوذت على ممتلكاتهم، وبذلك يتحول هذا التّحريض إلى عنف من نوع آخر وهو القتل والإجرام الذّي تتعرض له هذه الطبقة، على الرّغم من أنّ دولة الاستقلال قامت بتأميم الأملاك ، وقد هرب العديد من البرجوازيين واليهوديين متخلين عن أملاكهم، لكن السّلطة تحرض الطبقة الفقيرة على الطبقة الغنيّة

مدعيّة أنّ أملاك الدّولة بحوزتها فإذا عدنا للرواية نجد السّيدة **جنات البرجوازيّة** ضحيّة من ضحايا تلاعب السّلطة بالحقائق التّاريخيّة ممّا أدّى إلى اغتيالها في شقتها باستخدام سكين حاد ويتجلى ذلك في قول الصّحفي عبد القادر المغراوي الشّاهد على مقتلها: " **أبصرت في تلك اللحظة الّتي بدت لي دهرا، السّيدة جنات وهي ملقاة على الأرض ورجلا غريبا، هو ذلك الرّجل الذّي اصطدمت به للتو في شارع بين مهيدي، يغرس سكينا حادا في أحشائها بلا رحمة ثم وضعه على صدرها وغرسه في جهة القلب بحقد لا مثيل له**" 5 1(االرّواية ص13)

فلو نحلل الأحداث نجد أنّ شخصيّة المجرم "برهوم بوسلمان" الملقب **بولد الشّعبة** شخصيّة فقيرة تطمع إلى السّلطة، وعليه وقع فريسة سهلة في يد السّلطة الّتي تشوه الطبقة البرجوازيّة وقد أصبح مجرما يمارس القتل والعنف ضد هذه الفئة .

لقد اختار السّارد مدينة الجزائر العاصمة ليتبيّن أساليب العنف الّتي تعرضت له المرأة البرجوازيّة بعد الاستقلال من العنف اللفظي والجسدي كالضرب، والاغتصاب، ويصل حد والقتل. ذلك أنّ المدينة كانت فضاء واسعا للاختلاف الطبقي والإيديولوجي وقد مثّل الصّراع من أجل المادة وانحلال القيم أهم الفروق بين هذا الفضاء وفضاء القريّة الذّي يسوده الهدوء والحفاظ على العادات والتّقاليد، كما مثلت السّلطة المحرّك الرّئيسي للتحريض على العنف في الخفاء وهذا هو المضمر الذّي تسعى االرّواية إلى الكشف عنه .

3_ تجليات العنف ضد الآخر المهمّش: رغم اختلاف وجهات نظر الرّوائيين العرب حول مسألة وجود العنصر اليهودي في البلدان العربيّة، لكن معظم الأقلام أقدمت على تصوير شخصيّة اليهودي بإبرازه منحرفا صاحب تجارة وسلطة بالاعتماد على صورة اليهود في الثّقافة العربيّة، الّتي هي سلبيّة في أساسها وذلك اعتمادا على الانفتاح الذّي نشأوا عليه، حيث نجد يهود البلدان العربيّة

أكثر انفتاحا من المسلمين، ومشاركة في الجوانب الحياتيّة، يرى فيها المسلمون انحلالا وفسادا [16] (سارة السّهيل مقال ماخوذ من الأنترنت)

تعدّدت صور اليهود في االرّواية العربيّة لكننا سنقف على صورة هذه الفئة في رواية توابل المدينة، الّتي وفقت على سرد المسكوت عنه في التّاريخ الجزائري وذلك بالوقوف على شتى أنواع العنف الّتي تعرض لها اليهودي في الجزائر بعد الاستقلال بعد خطاب الرّئيس الرّاحل هوراي بومدين الذّي يقول في إحدى خطاباته أنا أريد شعبا نقيا، مستثنيا بذلك وجود الأمازيغ واليهود في الجزائر [17](عيسى شنوف،ص12) ومن بين أساليب العنف الّتي تعرّض لها اليهودي في رواية توابل المدينة الحرمان من الممتلكات، و من تأديّة الشّعائر الدّينيّة، إضافة إلى التّهديد والضرب والقتل... فنجد أنّ الطبقة الشّعبيّة في االرّواية تتهم هذه الفئة بالولاء لفرنسا وللمستعمر، ويتجلى ذلك في قول السّارد في شأن كل من يقترب من اليهود: "**طبعا ذهب لمشاهدة رشيد القسنطيني، المغرم باليهود مثله فقد كانوا يعتقدون أنّ مجرد اقتراب نسائهم من مظاهر الحياة الأوروبيّة يؤدي حتما إلى ضياعهم، وخراب بيوتهم، ونسيان وعود الأجداد بضرورة إعلان الحرب على الرّومي، مهما طال الزمن، وكانوا يرددون في المقاهي الشّعبيّة : ليس نحن من انهزم، بل بنادقنا وسيأتي اليوم الذّي نصلح فيه هذه البنادق ونعلن الحرب ضد الغزاة**" [18] (االرّواية ص 52،53) وهو من أساليب العنف الّتي تعرض لها اليهودي في مدينة الجزائر حسب االرّواية، كالتّهديد بالحرب ضدهم كونهم أجانب وغزاة فهم لم يرحموا شعب فلسطين الشّقيقة وعدو فلسطين هو عدو العرب بالضرورة فنجدهم يلقبونهم بالموتورني بمعنى الشّخص الحقير الذّي انحرف عن أصله وقد أفادت "الدّراسات، عن ظاهرة العنف اللفظي وتتمثل في قول الكلام البذيء والسّب والشّتم أنها تعدّ قاسما مشتركا بين كل اللغات، الإنسانيّة حيث تمحور معظم الكلام غير المهذب حول الإساءة بالألفاظ السّيئة بما فيها من

تحقير للآخر واستيلاب لقدرته، وإرجاعه لدرجة الحيوان، أو حتى الجماد ويرى العلماء أنّ العنف اللفظي يظهر نتيجة للتقصير والعجز في التّواصل بطريقة أفضل." [19](عيسى الشّنوف، ص 12) فنجد أنّ الفئة اليهوديّة في الجزائر تعرضت دائما إلى الإهانة والتّهديد بحكم الخطابات السّياسيّة " ظالما أو مظلوما أنا مع الشّعب الفلسطيني، هكذا صرح الرّئيس الرّاحل هواري بومدين وهو على قيد الحياة، وبقيت هذه العقليّة سائدة على الرّغم من عدم وجود إجماع بشأنها...فالمجتمع تم ترويضه من مختلف التّيارات الّتي اعتمدت على دعائم إيديولوجيّة لتشويه وتحطيم صورة اليهودي" [20](عيسى الشّنوف ص12) ومن أساليب العنف الّتي تعرضت له هذه الفئة في الجزائر: الضرب ويتجلى ذلك في ضرب شخصيّة "إسماعيل بن سوسان اليهودي"، فيقول السّارد: **"اندهش السّيد سكندر في الأول، لكنه سرعان ما تمالك نفسه واستعاد زمامها فهب لنجدة اليهودي وجه لكمة قويّة نحو وجه الرّجل صاحب البيريه، أسقطه أرضا، فتمكن بن سوسان، من دفع الرّجل الثّاني وتخلص منه...تنفس بن سوسان الصّعداء وشكر اسكندر"** [21](الرّواية58)

فنجد العنصر اليهودي في المدينة الجزائريّة يعيش حالة هلع ورعب من أعمال العنف الّتي يمارسها بعض سكان المدينة ويتجلى خوف بن سوسان من مصيره المجهول بعد أعمال القتل والعنف الّتي تعرّض لها اليهود في قوله "لسعيد سكندر" الذّي أنقذ حياته من الموت:

"أمس قتلوا جاكوب بن قفطان، وليفي دانيال في باب العسة، إنهم يريدون تصفيتنا حتى يستولوا على أملاكنا، عرضوا على جاكوب مبلغا حقيرا لشراء ورشته، لكنه رفض فقتلوه، أما ليفي دانيال فكانت نهايته مفجعة، قد سلخ الإخوة غاسون جلد رأسه بالقرب، من سانطوجين، حتى لايردّوا الأموال الّتي استلفوها منه قبل الحرب.إنهم أوغاد " [22](الرّوايةص59)

من الملاحظ أنّ العنصر اليهودي في الجزائر مرتبط بالآخر كون الجزائريون بعد نشر مجموعة من الخطابات السّياسيّة ينظرون إليهم نظرة عداء وولاء للمستعمر، وعليه فقد تعرضت هذه الفئة إلى أنواع مختلفة من التّعنيف والتّحقير، لقلة عددها، ولم يعد لها أيّة سلطة بعد تأميم أملاكها ومتاجرها وقد أولى السّارد أهميّة كبيرة للعنف الرّمزي بين اليهود والمسلمين من خلال إدخال العمران كتيمة ثقافيّة داخلة في الصّراع الإيديولوجي مع العلم أنّ العمران أو الهندسة المعماريّة من منظور ليندا هيتشيون، تأخذ طابعا سياسيا فتستند بذلك على آراء التّوسير الذّي يحدد الآليات الإيديولوجيّة للدولة الّتي هي غير الأدوات القمعيّة كالجيش والشّرطة والمحاكم، فترى هتشيون أنّ العمران كالمساجد (بالنّسبة إلى المحمديين) والكنائس (بالنّسبة للمسيحيين) هي أجهزة إيديولوجيّة يتم من خلالها تمثيل جماعة معينة كما أنها مؤسسات خاصّة بالدّولة وعليه فهي تأخذ طابعا سياسيا [3] [2](ليندا هيتشيون ص 25) ويتجلى هذا النّوع من الصّراع الذّي يتدخل فيه العمران كونه يتمتع بطابع ايديولوجي سياسي، بعنف من نوع آخر يأخذ شكلا رمزيا قبل أن يتحول إلى عنف جسدي فيقول السّارد:" **كانت تصل –الأخبار- حينها من مدينة الباي أحمد عن صراع محتدم ودام بين المسلمين واليهود بعد أن أقدم يهودي مخمور يدعى "الياهو" على التّبول على حائط الجامع الأخضر. فأثار غضب المسلمين الذّين خرجوا لضربه. وتحولت الأحداث إلى صدامات بين أبناء العم، دامت أسبوعا كاملا**" [4] [2] (االرّواية54)

من خلال هذا تتجلى قيمة المسجد رمزيا وثقافيا، فيعد المسجد رمزا للإسلام وعليه أي مساس بهذا العمران يعد، مساسا بالدّين الإسلامي، فمن خلال هذا المقطع السّردي يتجلى العنف الرّمزي ضد معلم من معالم الدّين من خلال فعل البول على حائط المسجد، وهذا الفعل قد مثل بدايّة عنف من نوع آخر هو

العنف الجسدي لأن هذا التّصرف المحظور قد أدى إلى فعل الضرب والصّدام بين المسلمين واليهود، بهذا يمكن أن نستدل **ببيير بورديو** الذّي حاول قراءة بنيّة المجتمع، الغربي والكشف عن مختلف آليات السّيطرة والهيمنة والعنف الرّمزي بالسّلطة، بمعنى أن الدّولة تمارس، عبر مجموعة من المؤسسات (الإعلام والمدرسة، والفن، والدّين)عنفا رمزيا ضد الأفراد والجماعات [25](الطاهر لقوس،ص 39).

ويتحقق ذلك في االرّواية كون الدّولة الجزائريّة عملت على تهميش يهود الجزائر، بنشر إيديولوجيا العداء لليهود، وعليه يمثل كل تصرف منهم مهما كان فعليا أم رمزيا بدايّة حرب ضدهم كونهم يمثلون الهامش والإسلام يمثل المركز، فقد حرمت فئة اليهود من الصّلاة في المساجد كما حرموا أيضا من تأديّة طقوسهم وشعائرهم في العلن، فنجد شخصيّة بن سوسان اليهودي يصلي في الطابور وفي الخفاء.

كما اهتمت رواية توابل المدينة بانفجارات الجزائر العاصمة في التّسعينيات من خلال مسار المجرم برهوم بوسلمان ولد الشّعبة الفقير الذّي أقدم على قتل مجموعة من أفراد الطبقة البرجوازيّة، فلم يكن له الخيار بعد شهادة الصّحفي عبد القادر المغراوي غير الدّخول في منظمة إرهابيّة، لينجوَ من عقوبة السّجن وعليه اختار الصّعود إلى الجبل وسفك دماء الأبرياء، وقتل كل مثقف أو برجوازي في المدينة ويتجلى ذلك في مجموعة من المقاطع السّرديّة منها: " بعد ثلاث سنوات صعد برهوم بوسلمان إلى الجبل. أصبح يدعى الأمير أبو حفص المكي، عينه زيطة على رأس كتيبة سيف الدّين، فذاع صيته كأمير دموي. زرع الرّعب عند **أطراف المدينة**" [26] (االرّواية ص 139)

فقد كشفت االرّواية عن إسهام السّلطة في نشر الفزع في المدن الجزائريّة في سنوات التّسعينيات بالجزائر العاصمة، ذلك بإقحام المجرمين كشخصيّة برهوم بوسلمان، في الجماعات الإرهابيّة فنجدها ظاهريا تمارس فعلا سياسيا لكنها

تسهم في زرع الفتن والعنف أواسط الطبقة الفقيرة والغنيّة وكذلك تصفيّة المثقفين والصّحافة كونهم يسهمون في كشف وفضح الألاعيب الإيديولوجيّة فيركز السّارد في االرّواية على "لحظات الفزع من الذّين اغتالتّهم قوى الإجرام فقط لأنهم يحملون أقلاما وأغلبيتهم لم تكن منتميّة لأي فريق وقليل من الضحايا ساعد هذا الفريق على حساب ذاك، لكن مهما كانت مواقف الصّحفيين فإنهم ما كانوا ليغتالوا لولا أنّ تلك الجماعات ضد العلم والنّور وضد كشف الحقائق وهنا تكمن خطورة الصّحفيين" 27 (خالدّ بن عمر بن فقه ص 53) فنجد السّارد الصّحفي عبد القادر المغراوي تعرّض لعنف نفسي يتمثل في اللجوء إلى أرض المنفى لأنه مهدد بالقتل كونه قام بفضح ألاعيب السّلطة كونها ساهمت في زرع العنف والدّم أواسط الأبرياء في المدينة الجزائريّة الّتي تتمثل في الجزائر العاصمة ويتجلى ذلك في قول الصّحفي: "**رائحة الدّم تخنقني..أين المفر؟ خطرت ببالي فكرة النّجاة بجلدي فقررت مغادرة البلد الهجرة بعد أن أضحت حياتي مهددة. هم برهوم بوسلمان بقتلي لكنني نجوت من قبضته بلطف من القدر، فمن يضمن لي النّجاة مرة أخرى؟ إنني أحس هنا بالاختناق يتفقدني الموت في كل لحظة**" 28 (االرّواية ص 187،188)

خاتمة:

مثّلت رواية **توابل المدينة** مجمعا يشمل شخصيات من مختف المشارب يسودها الاختلاف والتّعايش فقد جمعت الجزائر العاصمة فئات متعدّدة الفقيرة والبرجوازيّة، الإسلاميّة واليهوديّة، المثقفة وغير المثقفة... لكن غياب القيم وطغيان المادة وآليات تحريض السّلطة، جعل منها بعد الاستقلال، حلبة للصراع والموت، وقد تجسد العنف في االرّواية بكل بأشكاله الجسدي واللفظي والرّمزي، وذلك بسبب تدخل السّياسة والإيديولوجيا فقد تعرضت المرأة للتحرش والاغتصاب وتعرض اليهودي للضرب والقتل، كما قتلت الفئة البرجوازيّة ونفت

المثقف من أرضه بسبب طغيان المادة على الجانب الرّوحي، وهنا يكمن الخلاف بين قيم الرّيف الّتي تعرف الحفاظ على القيم والمدينة الّتي يسودها العنف بسب تدخل السّلطة في زرع أسباب الخلاف والفرقة خدمة لمصالحها.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]- يراجع: شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر، أنساق الغيريّة في السرد العربيّة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2012، ص 107، 108

[2]_ مختارعلي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دط الكويت، 1990ص 150

[3]- يراجع : آمنة بلعلى خطاب الأنساق، الشعر العربي في مطلع الألفيّة الثّالثّة، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، لبنان، 2014، ص185، 188

[4]- مقال مأخوذ من الانترنت: محسن المحمدي، الإنسان ذئب لأخيه الإنسان...صناعة الدولة ..من غريزة الصراع إلى ثقافة السلم على الرّابط:www.alskibied.com يوم: 2018/08/01 ساعة الدخول: 20:20

[5]- محمد داود، الأدباء الشباب، والعنف في الوقت الرّاهن، مجلة دفاتر إنسانيات، في الأنتروبلوجيّة والعلوم الاجتماعيّة، صادرة عن مركز البحث في الانتروبلوجيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة، ع1، الجزائر ص 106

[6]- سعيد بوسقطة، ثنائيّة القريّة –المدينة في التّجربة السياسيّة، مجلة الموقف الأدبي- مجلة أدبيّة شهريّة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 375 ،سوريا، 2002 ، ص5، 6.

[7]- يراجع: عبد الله ابراهيم، الرّوايّة العربيّة "ممكنات السرد"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ضمن فعاليات مهرجان القرين الثّقافي الحادي عشر، ع359، الكويت، 2009، ص16

[8]- حميد عبد القادر، توابل المدينة، دار الحكمة للنشر، دط، الجزائر، 2013، ص 106- 107

[9]- يراجع: عبد الله ابراهيم، الرّوايّة العربيّة "ممكنات السرد"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ضمن فعاليات مهرجان القرين الثّقافي ، ع11، الكويت، 2009، ص 16

[10]- حميد عبد القادر، توابل المدينة ص 76

[11]- يراجع: سارة السهيل، مقال مأخوذ من الأنترنت، العنف اللفظي كارثة أخلاقيّة تدمر الطفل والمرأة والشباب على الرّابط: www.rudaw.net بتاريخ: 09- 08- 2018 ساعة الدخول: 12:42

[12]- حميد عبد القادر، توابل المدينة ص 172

[13]- يراجع: سارة السهيل، مقال مأخوذ من الانترنت، العنف اللفظي كارثة أخلاقيّة تدمر الطفل والمرأة والشباب على الرّابط: www.rudaw.net

[14]- حميد عبد القادر، توابل المدينة ص 73، 74

[15]- نفسه ص 13

[16]- يراجع: عادل الأسطة، اليهود في الرّوايّة العربيّة "جدل الذات والآخر"، الرّقميّة، الوكيل الرّسمي والموزع الرّسمي للنسخة الإلكترونيّة، ط1، فلسطين، 2012، ص 115

[17]- عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، دط، الجزائر، 2008ص 52

[18]- حميد عبد القادر، توابل المدينة، ص 52، 53

[19]- سارة السهيل، العنف اللفظي كارثة أخلاقيّة، تدمر الطفل والمرأة والشباب مقال مأخوذ من الأنترنت على الرّابط، www.rudaw.net.

[20]- عيسى الشنوف، يهود الجزائر 2000 من الوجود ص12

[21]- حميد عبد القادر، توابل المدينة، ص 58

[22]- الرّوايّة، ص 59

[23]- يراجع: ليندا هيتشيون، سياسات ما بعد الحداثيّة، تر: حيدر حاج سماعيل، مراجعة: ميشال زكريا، المنظمة العربيّة للترجمة، ط1، لبنان، 2009، ص 25

[24]- حميد عبد القادر، توابل المدينة، ص 54

[25]- الطاهر لقوس، السلطة الرّمزيّة عند بيير بورديو، الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة قسم الآداب والفلسفة، ع14، الجزائر، 2016، ص39

[26]_ حميد عبد القادر، توابل المدينة ص189

[27]_ خالد بن عمر بن ققه، أيام الفزع في الجزائر، مركز الحضارة العربيّة، ط1، مصر، 1998 ص 53

[28]_ حميد عبد القادر، توابل المدينة ص 187،188